

## ملخص

يتناول هذا المقال حياة العلامة أبو علي الحسن اليوسي ونسبه وأصله، ومسيرته العلمية، بهدف إلقاء الضوء على مكانته وعمق فكره، الأمر الذي جعل تراثه الضخم مطلبًا لباحثين من اختصاصات متنوعة، يهتم به الفقهاء والأدباء واللغويون، ومؤرخو الفكر السياسي والاجتماعي وغيرهم.

## مقدمة

لقد شاءت الأقدار رغم الظروف التي كانت تعيشها قبيلة آيت يوسي، أن تبرز إلى الوجود أعلام من ساكنتها، ارتبط البعض منها بتاريخ المقاومة والبعض الآخر بتاريخ الفكر بشقّي تلاوينه. ويعتبر العلامة أبو علي الحسن اليوسي محور وقطب أقطاب هذه الشخصيات التي دأب المؤرخون والمفكرون في التأريخ لها وتدارسها في مختلف الجامعات المغربية والأجنبية، نظرًا لغزارة التراث الفكري الذي خلفه هذا الرجل في علوم ومعارف لا تعد ولا تحصى. فمن هو هذا الرجل؟ وكيف كانت مسيرته العلمية عبر التاريخ؟ وهل توفّق في رحلته بربوع أرض المغرب؟ تلکم هي مجمل الأسئلة التي ستحاول هذه الصفحات المتواضعة الإجابة عليها.

## أولاً: حياة أبو علي الحسن اليوسي

يقول الشيخ اليوسي في سرد عمود نسب أبو علي الحسن اليوسي وأصله: "أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن غمّرو بن يوسف وهو أبو القبيلة ابن داود بن يدراسن بن يلفتن (...) والكنية أبو علي، وأبو المواهب، وأبو السعود، وأبو محمد.<sup>(١)</sup> ومن يوسف أبي القبيلة، أخذ اليوسي نسبه الذي عرف به واشتهر، والقياس اليوسفي، لكن القبيلة تسقط الفاء من لغتها أو أنها سقطت لكثرة الاستعمال.

أما عن قبيلة آيت يوسي، فإن ما يُتوفر عنها من الأخبار القليلة، فإنها قبيلة ذات شأن كبير ولاسيما من الناحية العسكرية، فقد كانت لها حروب مع لودايا وفي سنة ١٠٩٦ ثارت ضد المولى إسماعيل، فيمن ثار من قبائل بلاد ملوية ثم انهزمت ودفعت سلاحها وخيلها للسلطان،<sup>(٢)</sup> وكان المستضيء بالله ابن السلطان المولى إسماعيل يخطب ودها ليتقوى بها ضد أخيه عبد الله، ثم رأيناها بعد ذلك تخوض غمار الحرب إلى جانب السلطان المولى عبد الله ضد منافسيه.<sup>(٣)</sup>

ولقد وقع اختلاف حول العشيرة التي ينتمي إليها اليوسي، إذ نجد أبو التوفيق العربي الدمّني يقول: "إنه من آيت بوحود"، والقاضي التاجمعي يقول إنه من آيت كاييس. ونحن نعلم أن آيت كاييس فرع من آيت يوسي كيكو. وفيما يشير إليه المدغري العلوي فإنه يقول: "وذكر لي بعض أبنائه أن أجداده ينتسبون إلى قبيلة فركلة من فخذة منها تسعى حارة أقلال، وإنهم ليسوا من قبيلة آيت يوسي. والشائع عند حفدته الآن أن أباه منحدر من الساقية الحمراء، وأنه ينتسب إلى المولى إدريس رضي الله عنه.<sup>(٤)</sup>



## العلامة

أبو علي الحسن اليوسي  
ومسيرته العلمية

د. لحسن أوري

أستاذ التعليم العالي مساعد  
الكلية متعددة التخصصات  
تازة - المملكة المغربية



## الاستشهاد المرجعي بالهقال:

لحسن أوري، العلامة أبو علي الحسن اليوسي ومسيرته العلمية - دورية كان التاريخية - العدد الخامس عشر: مارس ٢٠١٢. ص ١٠٧ - ١١٠.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

خمس أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

فيه باب الاجتهاد، فيقول أبو علي الحسن اليوسي: "نعود بالله من انحراف السيرة وفساد السريرة والتقليد على غير بصيرة، فإنه لا فرق بين مقلد ينقاد بهيمة نقاد..."<sup>(٩)</sup>

إن تنوع ثقافة اليوسي ومكانته العلمية والدينية، وعمق فكره، جعل تراثه مطلباً لباحثين من اختصاصات متنوعة يهتم به الفقهاء والأدباء واللغويون، ومؤرخو الفكر السياسي والاجتماعي وغيرهم. وقد خلف العلامة اليوسي تراثاً أدبياً ضخماً يدل على مكانته العلمية وقد أورد الدكتور عباس الجراري جرّداً لما خلفه اليوسي من إنتاج أدبي متنوع نذكر منه: المحاضرات، زهر الأكف، نيل الأمان، الفهرسة، رسائل اليوسي... إلخ.

### ثالثاً: أهمية العلم والعلماء في حماية الدولة عند اليوسي

إذا كانت وظيفة الجيش هي توفير الحماية الشخصية والمادية للدولة، فإن أبا علي الحسن اليوسي أوكلَ لعلمائها حماية الشخصية المعنوية للدولة. ومن هذا المنطلق كان مركز العلماء مرموقاً لذا الشعب وقادة البلاد على السواء، فهم في الأمة عيونها وشهودها يحضرون محافلها وأفراحها وأقاربها، وهم لأجل هذا يَحْضُونَ لدا الملوك والأمراء بمرتبة سامية لا يصل إليها كل من هب وذب. فإذا كان الأطباء يتخذون عدة طرق لإحياء الأنسجة المهددة بالموت في الجسم، فإن الملوك كانوا يَرَوْنَ في الكلمة العادلة من العالم وخيراً محبباً يَشُدُّهم دائماً إلى جانب الحق والإنصاف. إذ أصبح القادة يشجعون مرشديهم بهذه الكلمة الرائدة "لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها..."<sup>(١٠)</sup>

ورغم ظهور اليوسي في فجر الدولة العلوية الذي عرف اضطراباً سياسياً اضطربت به حياته ومسيرته العلمية، فإنه بمجرد أن استتب الهدوء وانتشر الأمن، حتى استقرت أحواله فطبعته زاوية تمكروت بطابعها وغذته الزاوية الدلالية بعلمها وأدبها وسلوكها، فأصبح له شأن بين العلماء، فجالسه الملوك وسعوا إلى درسه واستفتوه في النوازل وأقبل على درسه خلق كثير وتخرج على يده جم غفير.<sup>(١١)</sup>

ورغم مغادرته لقبيلته صبيّاً ولم يعد إليها إلا نادراً، فإن تأثيرها في شخصيته كان قوياً، حيث بقي بدوياً يوسياً لم تستطع الحواضر التي عاش فيها والأوساط الراقية التي اتصل بها، أن تغير من طبيعته شيئاً كثيراً. فعبّر عن اعتزازه ببداوته في إحدى رسائله إلى المولى إسماعيل فقال: "إنما أن رجل بدوي، وأما عذري في استئصال الحاضرة فوجوه كثيرة: فإني لم أولد فيها بل في الفجاج الواسعة بين الشيخ والريح والجنوب والشمال، فأني عجب إذا حننت إلى مسقط رأسي ومحل أبناء جنسي".<sup>(١٢)</sup>

هكذا فإن هذا العالم اغترب كثيراً في سبيل العلم وتنقل بين أهم المراكز العلمية الموجودة في المغرب آنذاك، وحصل أكثر ما يمكن تحصيله من العلوم، في كل من سجلماسة وسوس، إذ كان لا يباي بقاء القضاء الليالي أحياناً مع الطلبة ليذاكرهم مسائل العلم.<sup>(١٣)</sup> إن

ويمكن معرفة أصل العلامة اليوسي من خلال لقب مولاي الذي كان يقتصر على الشرفاء والعلميين والأدارسة،<sup>(١٤)</sup> حيث ذهب العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الهشتوكي في تلقيبه "بمولاي" وذلك بقوله "فارس المعقول والمنقول العالم الرباني، بحر المعارف والعلوم والمعاني، عمدة المسلمين وخاتمة المحققين. مولاي أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي نفس الله في عمره للإسلام".

ونظراً للتحريف الذي وقع في عمود أجداد اليوسي أثار الشكوك في أصله خاصة من ذوي النفوذ السياسي، لأن العلامة أبو علي اليوسي كان له خصوم، نظراً لموقفه الإصلاحية الذي يدعو إليه في رسائله إلى المولى إسماعيل. كما إن هذا الأخير وتقديرًا منه "لليوسي" أنعم عليه بظهير شريف يقضي بتوقيره واحترامه وإخراج حفدته من زمرة العوام (ويسعون في تجديد الظهير بكل اعتزاز لدى الملوك العلويين).<sup>(١٥)</sup> إلا أن تجديد هذه الظهائر لم يبق ساري المفعول، بحيث عُوضت بتوزيع مداخيل صناديق الأضرحة على الأحفاد، إضافة إلى الهبات الملكية في مختلف المناسبات كموسم الضريح، وشهر رمضان والأعياد الدينية.

### ثانياً: مكانة العلامة اليوسي ومسيرته العلمية

أتاحت للشيخ أبي علي اليوسي عوامل وظروف كثيرة صقل قدراته الإبداعية وتنظيم فعلها الخلاق، بعضها كان ذا طبيعة ذاتية إلهامية، وبعضها الآخر كان ذا طابع خارجي مكتسب، وكان هذا الإطار المكتسب عند الشيخ "أقوى نفاذاً وتأثيراً وذا دلالة متميزة بسبب ما كان له من طاقة عقلية وشعورية جعلته يربط بين ذاته والعالم الخارجي بعلاقة توظيفية إنتاجية لم تلبث أن أفضت إلى سلوك معين وإبداع خاص..."<sup>(١٦)</sup>

لقد طلب العلم في البادية والحاضرة، بالصحراء والساحل، بالسوس وبلاد الأمازيغ. ومرت أعوام عليه وهو طالب بالزاوية الدلالية، فاشتد عوده برحائها، واجتمع له من عناصر وثقافة العصر ما جعله عالماً كامل الأدوات واسع الثقافة ناضج الفكر، فتصدر للتدريس بها متمتعاً بثقة رؤسائها وأساتذتها وطلبها وهو لم يبلغ بعد الأربعين من عمره.<sup>(١٧)</sup>

وتظهر مكانة الشيخ اليوسي العلمية من خلال الميادين التي تطرق لها والكتب والرسائل والإجابات على الفتاوى، وفي هذا يقول الأستاذ محمد العمري: "يبدو أن أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي قد تفرد من بين جميع الأعلام المغاربة القدماء... وذلك لتنوع ثقافته وعمقها وملامستها للقضايا الحيوية في وجود الناس في عصره وبعد عصره، فهو مفكر سياسي يرصد الواقع وينتقده ويقدم الحلول للمشاكل المستعصية مستوحياً سلوك السلف، فهو مصلاح اجتماعي يشنع بالبدع ويدعو إلى التمسك بالسنة وهو فقيه مدقق يُفتي في كل ما يُلقى إليه من مسائل دقيقة بذهن متفتح، وهو متصوف زاهد متعب بزهده لكل من يسعى إلى تقييد حريته..."

فقد كان طابع اليوسي في كل ما ذهب إليه من قضايا دينية واجتماعية طابع نقدي يتسع بالاجتهاد ورفض التقليد في عصر أغلق

البقية الباقية من العلماء ويوفر لهم ما يحتاجون ثم يدعوهم بالرغبة لا بالرهبة ليؤذوا للجيل الناشئ أمانة العلم".<sup>(١٧)</sup>

إن بلاغة اليوسي ومنطقه العلمي كان قويًا يعتمد على القرائن الشرعية والعلمية في الإجابة ورد السؤال، ومرجع ذلك أساسًا غزارة علمه وتنوعه، واختلاف المشارب والمصادر التي نهل منها، إذ انطلق وهو شاب دون العشرين من عمره في رحلة رمت به ما بين فاس ومراكش وسجلماسة ودرة وسوس وتارودانت ودكالة وغيرها، فسلك في ذلك مسلك الصالحين الأنقياء المؤمنين رغم اشتداد المحن.<sup>(١٨)</sup> لقد كان طلبه للعلم بمثابة تجربة وامتحان مكناه من الابتعاد عن مفاصد الأخلاق وقبائح الأعمال وأصبح مثالًا للشباب المسلم الحق متأثرًا في ذلك بشيخه سيدي محمد بن الناصر الدرعي الذي تولاه بالإصلاح والتهديب داخل زاويته التي أصبح اليوسي ينتهي إليها باعتبارها منله الأول ومشربه الذي اعتمد عليه وعول، فطبعت شخصيته بطابعها وهيمنت على روحه بما في أشياخها من إخلاص النية وسلامة الطوية ومحبة العلم وأهله والجهاد في سبيل الله ودينه. فلم تستطع الزاوية الدلائية نفسها رغم المدة الطويلة التي قضاهما بها أن تنسخ ما في نفسه من حب للزاوية الناصرية وتعلق بها وحنين إلى أهلها وأيامها.

لقد تنوعت الجهات التي تنقل في ربوعها هذا العالم طلبًا للعلم وهو في ريعان شبابه فانتقل من الزاوية الناصرية إلى جبل دمنات حيث كان يحضر مجالس أبي الحسن علي بن العباس، ثم التحق بالزاوية الدلائية أعظم زوايا المغرب إبان ذلك الوقت وأكبر مركز علمي في المغرب في هذه الفترة من تاريخه والتي استقر بها نحو عشرين سنة رغم أن أيامه الأولى بها كانت متعبة وشاقة إلى أن تنبه طلبة الزاوية الدلائية إلى نبوغه فانكب بها على الدرس والتحصيل فاستقام له الأمر بها فأناله ذلك حظوة عند السلطان محمد الحاج الدلائي فتزوج بها.<sup>(١٩)</sup>

لقد كان الفضل كبيرًا للعلامة اليوسي على هذه الزاوية التي طلعت في سمائها بدور المعرفة وأشرقت شمس الدين، وظهر من الدلائيين رجال حملوا لواء العلم في أفق المغرب عاليًا خفاقةً، وأغنوا الخزانة العربية الإسلامية بعباء غزير نذكر منهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، وأبو العباس سيدي أحمد المدعو بالحارثي الذي كانت له اليد الطولى في الحساب والتاريخ واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه والحديث.<sup>(٢٠)</sup> إن ما نهله اليوسي من علم بالزاوية الدلائية جعله من المحبوبين لدى المولى الرشيد الذي حطمها سنة ١٠٧٩هـ ونقل علمائها إلى فاس، فكان اليوسي ألمهم بحيث تابع نشاطه العلمي بجنتات جامع القرويين التي لم يكن بمقدور كل واحد أن يتبوأ مقعد الأستاذية بها، فألقى بها دروسه منذ سنة ١٠٧٩هـ بحضور المولى الرشيد تشجيعًا على الجد والمثابرة وطلب الكمال.

إن ذكريات اليوسي في جل المدارس التي تتلمذ فيها ونهل العلم عن شيوخها تركت في نفسه أثرًا كبيرًا تشهد له بها شهاداته هي

حضور مثل هذه الشخصية الكبيرة في تاريخ قبيلة آيت يوسي يزيد بها شرفًا واعتزازًا، باعتباره موسوعة فكرية وعلمية، لم تقتصر جهدها في طلب العلم وفي إنتاج تراث كبير، وكتابات أصبحت مرجع عدد كبير من الدارسين والباحثين. إن أبا علي اليوسي كان عالمًا عاملاً يوقن أن أحسن العلم هو ما انتفع به الناس أو "هو ما حوضر به"، كما كان بالإضافة إلى علمه وعمله مربيًا يعرف الطرق الناجحة في عصره، ليوصل عمله إلى غيره فيحصل الانتفاع به، من هنا اهتم اليوسي بتسطير كل ما يطرئ فكره وحسه ووجدانه من أفكار ومشاعر وخواطر ومشاهدات وتأملات.<sup>(٢١)</sup>

وفي هذا الصدد؛ تحفظ كتب التاريخ الحوار الذي دار بين الشيخ أبي علي الحسن اليوسي وبين ملك من أعظم الملوك البلاد شأنًا وأقواهم مركزًا سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ألا وهو السلطان المولى إسماعيل، الذي كان ينشر صدره لمراجعة علماء من أمثال الشيخ عبد القادر الفاسي واليوسي وغيرهم. وتعود أسباب هذا الحوار إلى كون هذا الأخير لم يطق الاستقرار بمدينة فاس، بل اختار المكوث بالبادية والابتعاد عن الحاضرة إذ يقول في هذا الشأن: "لم أولد فيها... ومنها فساد طبع العيال والأولاد والأصحاب، ونخشى ذلك نحن أيضًا في أنفسنا من جهات، إحداها تعلم الشهوات والاتساع فيها وإن كنا بالبادية لا نعرفها، ووجدنا آباءنا يعيشون بها وجدوا قانعين... ثنائها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء..."<sup>(٢٢)</sup> فعشقه للخلوة والاعتزال حال دون دخوله الحاضرة والأعتاب الشريفة لنشر العلم بها ومساعدة الحكومة إلا لما أمًا، لذلك بعث إليه السلطان المولى إسماعيل كتابًا ينتقد فيه هذا الموقف خصوصًا عندما فجع السلطان لحالة العلم بالمغرب.<sup>(٢٣)</sup>

إن أجوبة اليوسي في هذا المضمار كانت علمية وموضوعية لا تقبل النقاش، إذ كان يتبنى المنطق في كل ردوده وله في ذلك نماذج كثيرة، حيث يرد على السلطان في شأن تجريم انعزاله وعدم رده له لما كان يطالبه به المولى إسماعيل، فيقول ردًا على كتاب السلطان: "...أنا الذي أقول هذا وأطلبه لو أجده، وأما السلطان ففي يده اليوم الشريعة وغيرها. فما شاء فعل بي وبغيري شرعا كان أو غيره. وأما أنا لو وجدت شريعة الله لم أحتج إلى شيء من هذا الكلام. فوالله لا أعلم علي حدًا ثابتا عند السلطان فيطالبي بإقامته ولا جنابة على أحد في مال ولا نفس، ولا أنا عبد أبى ولا فارس هربت براية الملك ولا عامل بقي على حساب الجباية، ففي أي شيء يطالبي السلطان بشريعة الله... فأني ثبت علي شرعا يا معشر المسلمين حتى أطلب فيه وقد اعترفت على نفسي بطاعة السلطان، ولم أنزع ولم أخالف ولم أحارب ولم أخلط، وهذا القدر هو المطلوب من الطاعة، أما من خرج عن ذلك كخروج فرد عن داره أو بلده أو نزوله بلدا أو لزومه جهة أو انتقاله من موضع إلى موضع فلا مدخل له في الطاعة، لأن السلطان خليفة الله في الأرض، فليس له أن يكلف العباد إلا بما كفهم الله به"، ثم يستأنف قائلاً في هذا الشأن: "فإذا كان المولى إسماعيل يأسف لحالة العلم فعليه أن يبحث عن

## الهوامش:

- (١) حيي (محمد)، الحسن اليوسي، كتاب المحاضرات، طبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧، ص. ١٠.
- (٢) الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج. ٧، ص. ٦٨.
- (٣) ابن زيدان (عبد الرحمان)، الإتحاف، ج. ٤، ص. ٣٤٥-٣٤٨.
- (٤) العلوي المدغري (عبد الكبير)، الفقيه أبو علي اليوسي، نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص. ١١١.
- (٥) حماني (حميد)، جانب العقيدة في فكر اليوسي، دراسة مع تحقيق لبعض ترائه في مجال العقيدة، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية، دار الحديث الحسنية، الرباط، ١٩٨٩-١٩٩٠، ج. ١، ص. ٧٨.
- (٦) حماني (حميد)، جانب العقيدة...، مرجع سابق، ج. ١، ص. ٨١.
- (٧) العلوي المدغري (عبد الكبير)، الفقيه أبو علي اليوسي، نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص. ١٣٧.
- (٨) المدغري (عبد الكبير)، الفقيه أبو علي اليوسي... م.س، ص. ١٣٨.
- (٩) العمري (محمد)، "أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في كتابات المحدثين"، الملتقى الثقافي الثالث لمدينة صفرو، تحت شعار: صفرو، منطقها، بينة، تاريخ مجتمع، فكر، إيدكل للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ص. ٢٥٧.
- (١٠) التازي (عبد الهادي)، "بطاقة في منتهى الطاقة يرخصها أبو الحسن اليوسي إلى السلطان المولى إسماعيل، دوافعها، تاريخها، أصداؤها، دلالاتها الاجتماعية وأبعادها السياسية"، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص. ٢٨٨.
- (١١) حماني (حميد)، جانب العقيدة...، مرجع سابق، ج. ١، ص. ٨١.
- (١٢) نفسه، ص. ١١١.
- (١٣) العلوي المدغري (عبد الكبير)، الفقيه أبو علي اليوسي، نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- (١٤) الدويري (أحمد)، "النثر الفني عند اليوسي"، الملتقى الثقافي الرابع / مدينة صفرو، صفرو ومنطقها قراءة في الذاكرة وفي الراهن، صفرو أبريل ١٩٩٠، ص. ٢٠٣.
- (١٥) المدغري (عبد الكبير)، الفقيه أبو علي اليوسي... م.س، ص. ١٣٨.
- (١٦) الفاسي (علال)، "أبو علي الحسن اليوسي"، مجلة المناهل، ص. ٤٦.
- (١٧) العمري (محمد)، "أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في كتابات المحدثين"، الملتقى الثقافي الثالث لمدينة صفرو، تحت شعار: صفرو، منطقها، بينة، تاريخ مجتمع، فكر، إيدكل للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ص. ٢٥٧.
- (١٨) المدغري، م.س، ص. ١٢٦.
- (١٩) التازي (عبد الهادي)، "بطاقة في منتهى الطاقة يرخصها أبو الحسن اليوسي إلى السلطان المولى إسماعيل، دوافعها، تاريخها، أصداؤها، دلالاتها الاجتماعية وأبعادها السياسية"، مجلة المناهل، المرجع السابق، ص. ٢٨٨.
- (٢٠) الحوات (أبي الربيع سليمان بن محمد)، البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مخطوط الخزنة العامة الرباط، خ.ع. رقم ١٤٥٤، ص. ٣٠٧.
- (٢١) العلوي المدغري (عبد الكبير)، مرجع سابق، ص. ١٠٨.

مختلف المتون التي خلفها وراءه، لكن ذكرياته بالقرويين كانت مؤلمة خصوصاً فيما يتعلق بتخلف بعض مشاهير مدينة فاس عن دروسه التي كانت في نظره مهمة لهم، فأنفعل انفعالاً شديداً وساءت الحال بينه وبين أهل فاس لتأمر بعض أعيانها عليه، ليس إلا لكبرياء نفسه ولشدة اعتزازه بها وثقته في علمه وتعاليه على هؤلاء الضعاف الذين خلت مجالسهم من الطلبة بعد دخوله القرويين. ورغم الخصومة التي وقعت بين اليوسي والفاسيين، فإن المدينة لم تنتكر له، بل إن مجالسه كانت مكتظة بالطلبة والأعيان وأنه أتفق له من اجتماع الناس عليه وإقبالهم على درسه ما لم يتحقق لغيره. لقد ساهمت الخلافات التي نشبت بين اليوسي والفاسيين في اتخاذ قرار مغادرة فاس واللجوء إلى البادية سنة ١٠٨٤هـ، بعدما استقر بتطوان، لكن مراده في العزلة لم يكتمل إذ اضطر إلى التوجه مرغماً إلى مراكش التي قضى بها ثلاث سنوات وهو يدرس بجامع الأشراف دروساً لا يوجد لها نظير بالمغرب في ذلك الوقت.<sup>(٢١)</sup>

لقد تحكمت الظروف السياسية بشكل كبير في المسيرة العلمية لليوسي، إذ جلبت عليه المدارس التي تعلم بها مشاكل جعلته مشرّداً في البداية ونالت منه هي النهاية إذ تحولت الدروس التي تلقاها بالدلائية إلى نقمة عليه من السلطة الحاكمة التي أعادته إلى في جو لا يسمع باستقرار عالم من أفضل علماء المغرب حينذاك على عهد السلطان المولى إسماعيل، فأنتهى به المطاف بعد أداء فريضة الحج إلى بادية بحوز مدينة صفرو تُعرف بقرية تامزيت التي وافته المنية بها يوم الاثنين ٢٣ من الحجة الحرام سنة ١١٠٢هـ ودفن بها، لكن آثاره لا زالت حية وتعتز بها فئة العلماء والمثقفين من الساكنة المغربية على وجه الخصوص.

## خاتمة

عموماً إن الشيخ أبي علي الحسن اليوسي شخصية حية حركت بركة راكدة في مجال الفكر الديني (الفقه والتصوف)، والسياسي (الرسائل)، والاجتماعي (محاوية البدع وانتقاد أهل الحضارة)، لذلك سيبقى اليوسي شخصية حية في ذاكرة كل الأجيال، لأنه كبح جماح كل أشكال التعسف وكل صور التضليل، وفسح المجال للعقل والاجتهاد، فهو قدوة لم يريد الاقتداء به تغمد الله روحه برحمته.